

## الفصل الثاني

### نشأة المذهب الاباضي

#### ١ - بذور الفكر الاباضي :

ان نشأة الفكر الاباضي ، يعود بالدرجة الاولى الى العامل الدينى والسياسى الذى تمثل فى مبايعة عبد الله بن وهب الراسبى (١) ، من طرف بعض الصحابة والتابعين الذين أنكروا التحكيم على على كرم الله وجهه ، وفيهم من أهل بدر ومن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كحرقوص بن زهير السعدى (٢) وفروة بن نوفل وسارية بن لجام السعدى ، وكانت هذه النشأة فى شوال سنة ٣٧ هـ ، وقد رفع أصحاب عبد الله بن وهب الراسبى الشعار التالى : قبلت الدنيا ولا حكم الا الله - وهكذا نرى أن الذين كانوا مع على من صفين متوادعين فروا عليه ، وعرفوا لذلك باسم الخوارج

---

(١) ر : ( ف - أ ) .

(٢) ر : ( ف - أ ) .

أو الشراة (٣) عند المؤرخين عامة ، فلا بد أن نوضح ، أن انشاء الوحيد الذى يربط الاباضية بالخوارج هو رفضهم المشترك للتحكيم ، والدعوة الى امامة المسلمين عن طريق حرية الاختيار والكفاءة الشرعية لهذا المنصب بين المسلمين جميعا ، فسوف نقوم بتحليل شامل لهذه الفكرة فى باب الامامة . أما أعلامهم من عبد الله بن اباض الى آخرهم فهم يرفضون أن يسموا خوارج ، فسوف نقدم عدة نصوص تنفى عنهم هذه الدلالة الشائعة الهادفة الى أغراض دينية وسياسية محضة ، كما تدل على ذلك كتب التاريخ وعلم الكلام .

## ٢ - ظهور المذهب الاباضى :

ظهر المذهب الاباضى ، فى القرن الاول الهجرى فى البصرة . فهو من أقدم المذاهب الاسلامية على الاطلاق . والتسمية كما هو مشهور عند المذهب ، جاءت من طرف الامويين ونسبوه الى عبد الله بن اباض وهو تابعى عاصر معاوية وتوفى فى أواخر أيام عبد الملك بن مروان ، وعله

---

(٣) وسموا شراة لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة لقول الله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ( التوبة : ١١١ ) .

التسمية تعود انى المواقف الكلامية والجدالية والسياسية التى  
اشتهر بها عبد الله بن اباض فى تلك الفترة .

### ٣ - شخصية جابر بن زيد (٤) :

يرجع المذهب الاباضى فى نشأته وتأسيسه الى جابر  
ابن زيد الذى ارسى قواعد الفقهية وأصوله . فهو امام  
متحدث فقيه ، وتبحر بعمق فى الفقه ، وأمضى بقية حياته  
بين البصرة والمدينة بشكل جعله على صلة بأكبر فقهاء  
المسلمين حينذاك . وقد روى عن ابن عباس قال للناس :  
اسألوا جابر بن زيد فلو سألته المشرق والمغرب لوسعهم علمه .  
وقد أصبح أعظم فقيه فى البصرة وله أتباع عديدون كعبد الله  
ابن اباض ومرداس بن حيدر وأبى عبيدة مسلم  
ابن أبى كريمة .

### ٤ - أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة (٥) :

ولقد اكتملت صورة المذهب الاباضى على يد أبى عبيدة  
مسلم بن أبى كريمة ، المتوفى فى خلافة أبى جعفر المنصور  
والى انتهت رئاسة الاباضية بعد موت جابر بن زيد .

---

(٤) راجع الدرجينى : طبقات ص ٢٠٥ - ٢٠٧ ولد سنة  
٢١ هـ وتوفى سنة ٩٣ هـ بالبصرة .  
(٥) راجع الدرجينى : طبقات ص ٢٣٨ - ٢٤٤ . ولقد  
توفى فى خلافة أبى جعفر المنصور .

وبإشارته أسس الإباضية فى كل من المغرب وحضرموت  
دولا مستقلة وتخرج على يديه رجال الفكر والدين من  
مختلف الدول الاسلامية آنذاك عرفوا بحملة العلم . ولقد  
أفلح عبد الرحمن بن رستم فى تأسيس الدولة الاباضية  
بـ « تهارت » فهو تلميذ من تلاميذ أبى عبيدة وأحد حملة العلم .

## ٥ - الدولة الجزائرية الاسلامية الأولى والمذهب الاباضى :

لقد ظهرت الدولة الجزائرية الاسلامية الأولى مستقلة عن  
الدولة العباسية بيد عبد الرحمن بن رستم (٦) واستمرت  
قراة مائة وخمسين سنة ( ١٤٤ - ٢٩٦ هـ ) ( ٧ ) .

وكانت مقيدة بالكتاب والسنة وأثر السلف الصالح  
وتركت حرية الاعتقاد والرأى وازدهرت فى زمنها حركة  
علمية عظيمة ، غير أن هذه الحرية الاعتقادية ، استغلها  
الخصم فعجلت بسقوط الدولة الاباضية فى تهارت . والمذهب  
الاباضى لا تزال دعائمه راسخة فى جنوب الجزائر - وادى  
ميزاب - وجنوب تونس ، وشمال ليبيا - جبل نفوسة -  
وعمان ، وهذا المذهب يعد من أقدم المذاهب الاسلامية  
نظرا أن امامه الأول جابر بن زيد قد توفى سنة ٩٣ هـ . أما

---

(٦) ر : ( ف - أ ) .

(٧) راجع تاريخ الجزائر ، ص ٥٨ - ٧٥ للميلى .

المذاهب الأخرى فلم تظهر مدارسها الا بعد القرن الثانى  
الهجرى .

## ٦ - شخصية عبد الله بن اباض (٨) :

هو عبد الله بن اباض التميمى ولد فى زمن معاوية  
( ٤٠ - ٦٠ هـ ) وتوفى فى آخر حياة عبد الملك بن مروان .  
ويعد من أتباع جابر بن زيد الذى توفى سنة ٩٣ هـ . وقد  
اهتم بالجوانب السياسية والكلامية والعسكرية والتنظيم  
والتخطيط لتكوين دولة اسلامية معتمدة على الكتاب والسنة  
وسيرة الخلفاء الراشدين ، وفى داره كانت تعقد هذه الحلقات  
من طرف تلاميذ جابر بن زيد وأنصارهم وقد جاء فى  
الطبقات ما يلى : « كان عبد الله بن اباض امم أهل الطريق  
وجامع الكلمة لما وقع التفريق ، فهو العمدة فى الاعتقادات ،  
والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات والمؤسس لأبنية هى  
مستندات الاسلاف والمهدم لما اعتمده أهل الخلاف » ص ٢١٤ .

وقد اشتهر بالرسالة التى أرسلها الى عبد الملك بن مروان  
الأموى ( ٦٥ - ٨٦ هـ ) يبين فيها آراءه وعقائده بكل  
وضوح ، ورأيت من الضرورى أن أقدم صلب الرسالة فقط نظرا  
لطولها ، فهى كما يلى :

---

(٨) الدرجينى : الطبقات ، الجزء الثانى ، ص ٢١٤ .

٧ - رسالة عبد الله بن اباض الى عبد الملك بن مروان (٩) :

أما بعد : وكتبت الى تحذرنى الغلو فى الدين وانى أعوذ  
بالله من الغلو فى الدين ، وسأبين لك ما الغلو فى الدين اذا  
جهلته فانه ما كان يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتابه  
الذى بين لنا ، وسنة نبيه التى سن وقال الله تعالى : « يا أهل  
الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق »  
( النساء : ١٧١ ) .

كما فعل عثمان والأئمة من بعده وأنت على طاعتهم  
وتجامعهم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم  
واتبعتم أنت عليها وقال الله عز وجل : « ولا تتبعوا أهواء  
قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء  
السبيل » ( المائدة : ٧٧ ) . فهؤلاء أهل الغلو فى الدين .  
ثم يقول عبد الله بن اباض : انا نبرأ الى الله من  
ابن الأزرق (١٠) وأتباعه من الناس لقد كانوا على الاسلام  
فيما ظهر لنا حين خرجوا ، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد  
اسلامهم فنبرأ الى الله منهم .

---

(٩) ابن حميد الحارثى : العقود الفضية فى أصول  
الاباضية ص : ١٣٤ - ١٣٧ .  
(١٠) زعيم من زعماء الخوارج يرى أن مرتكب الكبيرة  
كافر كفر شرك .

فانك كتبت الى أن اكتب بجواب كتابك وأجتهد لك فيه  
النصيحة . وكان حقا على أن أنصح لك لما قد علمت أن الله  
يقول : « ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من  
بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم  
اللاعنون » ( البقرة : ١٥٩ ) .

أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولتحوا حلاله  
ولتحرموا حرامه ولترضوا بحكمه .

\* \* \*

#### ● تحليل مضمون الرسالة :

ان الأفكار التى نستنتجها من هذه الرسالة تتضمن ما يلى :

١ - ان عبد الله بن اباض قد فند رأى عبد الملك بن مروان  
حول دلالة الغلو . وبين حرصه القوى على سلامة الاسلام  
الذى سلكه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدين ، وبين أن المسلم  
المؤمن هو المطبق لكتاب الله وسنة رسول الله . لا افراط  
ولا تفريط - لا افراط كما غلا ابن الأزرق وجماعته ، ولا تفريط  
فى حق كتاب الله كما فعل بنو أمية الذين جرفتهم مفاتن الدنيا ،  
وتركوا حكم الله وفارقوه فقال : فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع  
نفسك فى بنى أمية وسيرتهم .

٢ - فقام بتقييم مسيرة عثمان رضى الله عنه وبنى أمية

فأكد أن فى آخر خلافة عثمان . وقد وقع تبديل وتغيير فى نظام الحكم الاسلامى ، وقد اعترض حتى الصحابة على سياسة عثمان لاشطاطه فى تبديل الولاية واغداق الأموال على أقربائه .

٣ - ثم يقول : قد سلكت طريق الضلال الذى سلكه بنو أمية من قبلك واتبعت هواك وهواهم ، فدعم هذه الفكرة بالدليل العقلى والنقلى لقول الله عز وجل : « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » ( المائدة : ٧٧ ) .

٤ - أما زعيم الخوارج - أى ابن الأزرق ( ١١ ) فنحن نتبرأ منه لغلوه وتشدهدده وافراطه فى الأحكام ، حين حكم فى المسلمين المذنبين بالكفر . وهذه الفكرة التى تزعمها نافع ابن الأزرق تتنافى مع مبادئ الاسلام . حين حكموا على كل مسلم مذب بكفر الشرك .

٥ - فهكذا نجد زعيم الاباضية يتبرأ صراحة من هؤلاء الخوارج أى الأزارقة . وكيف يعقل للباحثين قديما وحديثا أن ينسبوا الاباضية الى فئة الخوارج الذين أخطأوا فحكموا على مرتكب الكبيرة بالشرك الأكبر واستحلوا دماء المسلمين

---

( ١١ ) ر : ( ف - ف ) .

وأموالهم • أما الاباضية فتحكم على مرتكب الكبيرة (١٢)  
بكفر النفاق والنعمة (١٣) •

ولا تستحل دماء المسلمين وأموالهم ولا تخرجهم من ملة  
الاسلام مطلقا •

٦ - الخاتمة : وفى الختام قال : أجتهد لك فى النصيحة  
لأن الدين نصيحة • عليك أن تكون امام هدى فهو يحكم بما  
أنزل الله • فمن لم ينفعه كتاب الله لم ينفعه غيره • فان هذه  
الرسالة وقد انطلقت من الوازع الدينى ، وهذا الوازع  
انبثق من عقيدة صلبة تجعل الحكم خالصا لله وحده ، ومنبتنا  
من كتاب الله وسنة رسول الله ، وتجعل هذا الحكم ثابتا  
لا يتغير بتغير الأحوال والملابسات السياسية •

\* \* \*

---

• (١٢) ر : ( ف - م )

• (١٣) ر : ( ف - م )